ماهية الترجمة ودورها في إثراء الهوية الثقافية

Definition and Role of Translation In Enriching Cultural Identity

تاريخ الاستلام : 2019/10/21 ؛ تاريخ القبول : 2020/04/04

د.فيروز شني *

قسم الترجمة
كلية الأدب و اللغات
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1،
قسنطينة، الجزائر-

ملخص

تعد الترجمة أهم ما شغل فكر الإنسان عبر الزمن وفي مختلف الحضارات، إذ هي أساس التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمعات البشرية وأساس الرقي والازدهار،وقد جاء في المقال الآتي تعريف للترجمة وإبراز لأهميتها في توحيد اللغة وتأسيس وظيفة التواصل إذ أنها كانت ومازالت من أهم العوامل في نهضة الأمة لأنها وسيلة تمازجها بها تقاربت آدابها وتلاحقت أفكارها. فيه نبذة تاريخية عن الترجمة عند العرب والغرب وعن رحلة النصوص الأدبية من لغات إلى أخرى ولاسيما النصوص العربية تأكيدا للهوية العربية الثقافية. إن ترجمة الأثر الأدبي سواء كان شعرا أم نثرا، من أصعب الترجمات وأشدها تعقيدا لما يحمله من جماليات وخصوصيات فالعملية الترجمية تمكننا من الدخول إلى عالم أجنبي والتفاعل معه.

الكلمات المفتاحية: ترجمة ؛هوية ؛ ثقافة ؛ لغة؛حوار؛اتصال؛ إثراء.

Abstract

Through time and different civilizations, translation has been one of the most important concerns of man. This is in fact what enables the members of human societies to communicate and is the basis of all development. This article includes a definition of translation and its importance in the unification of the language and its role in the establishment of the communicative function. It has always been an important factor in the rebirth of the nation because it allows it to remain homogeneous, through it that literatures come closer. There is also a historical overview of the translation between the Arab world and the West and the passage of literary texts from one language to another, in this case Arabic texts confirming Arab cultural identity. The translation of the literary effect whether related to poetry or prose, is among the most difficult translations for what it implies as aesthetic traits and specificities. The translation operation allows us to access another universe.

Keywords: Translation; Identity; Culture; Language; Communication; Enriching.

Résumé

A travers le temps et les différentes civilisations, la traduction a été l'une des plus importantes préoccupations de l'homme. C'est en effet ce qui permet aux membres des sociétés humaines de communiquer et c'est la base de tout développement cet article comprend une définition de la traduction, et son importance dans l'unification de la langue et son rôle dans l'établissement de la fonction communicative. Elle a toujours constitué un facteur important dans la renaissance de la nation car c'est elle qui lui permet de rester homogène, a travers elle que les littératures se rapprochent. On y trouve aussi un aperçu historique sur la traduction entre le monde arabe et l'occident et le passage des textes littéraires d'une langue à une autre, en l'occurrence, les textes arabes confirmant l'identité culturelle arabe. La traduction de l'effet littéraire, qu'il soit relatif à la poésie ou à la prose, fait partie des traductions les plus difficiles pour ce qu'il implique comme traits esthétiques et spécificités. L'opération traductive nous permet d'accéder à un autre univers.

Mots clés: Traduction ; Identité ; Culture ; Langue ;Dialogue ;Communication ; Enrichissement.

* Corresponding author, e-mail: fairouzchennie@gmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2020.

مقدمة

الترجمة ضرورة من ضرورات الحياة المعرفية، إنها وسيلة تواصل لا غنى لنا عنها، جوهر كل علم لأن العلم مشاع بين البشر، يتناقله جيل عن جيل، ويتسلم مشعله قوم عن قوم، منتشرا غائصا إلى أعماق الحق منيرا عقول البشر، فإذا « هي تتهافت عليه تهافت الفراشة على المصباح وعلى الحلبة تتوالى الأمم، ساعية، متقدمة أشواطا جديدة ما كانت لتسلكها لولا ما سبقها من أشواط عبر التاريخ، وبذلك تتكافأ أعمال بني البشر ولئن كان للسابق فضل الابتداء فللاحق فضل الاقتداء ومواصلة السير ومتابعة البناء »[1]. وبذلك تبرز أهمية النقل والترجمة، فما تمثل العقل من مفاهيم وما اتضح لديه من تصورات أبان معانيه وعبر عنه بلسان فصيح لا التواء فيه ولا تردد، وإنما تزدهر الترجمة مهيئة ظروف البحث العلمي متى ازدهرت الحضارة وهز النفوس حب الإطلاع وداعي للفضول.

تعريف الترجمة

الترجمة في التعريف اللغوي، وفق ما ورد في المعجم، جاءت من كلمة "ترجم" بمعنى فسر كلام آخر فهو ترجمان وجمعه تراجمة وتراجم ويقال :"ترجمه بالعربية" أي نقله إلى اللسان العربي وترجم عنه أوضح أمره[2] والترجمة اصطلاحا تعني التفسير أو التعبير عن المعنى بلغة أو بإشارات أو برموز أو بحركات أخرى، ويتفق غالبية المترجمين على أن المعنى يجب أن يعطي الأولوية قبل الأسلوب عندما لا يكون هناك حل وسط موفق بالنسبة للترجمة الجيدة والترجمة التي اعتبرت عبر العصور فنا وإبداعا في الأداء والصياغة والتأثير، أصبحت اليوم تعد علما -خضوعا للمناهج العلمية التي تخضع لها بدورها علوم اللغة ودلالات الألفاظ- وسواء اعتبرت الترجمة فنا أو علما أو كلاهما معا، فهي تبدو قديمة قدم الإنسان على وجه المعمورة، ومن ثم قد تعني فهم القصد بوسيلة أو بأخرى عندما لا تتوفر لغة مشتركة بين المرسل والمتلقي، وخلاصة القول إن الترجمة بمعناها المتخصص تعني النقل من لغة ورموز أخرى، بأقصى قدر من الأمانة إلى لغة متلقية، وهذا عمل يتطلب قدرة وسعة إطلاع وتمكن من لغتين على الأقل ليتسنى تحقيق مفهوم الترجمة بمعناها الدقيق[3].

صدرت مفاهيم عديدة للترجمة من طرف منظرين كل على حساب ثقافته وفلسفته والمذهب الذي ينتمي إليه وأشهر ما ورد في ذلك تعريف منظري الاتجاهين "المصدري" (Courant sourcier) و"الاستهدافي" (Courant cibliste).

إن المنظر الفرنسي **"أنطوان برمان"**[4] (Antoine Berman) ذو الاتجاه المصدري من أشهر المنظرين في عالم الترجمة ويُعرف الترجمة على أنها « ترجمة الحرف وترجمة النص على أنه حرف»[5]. ومن خلال مذهبه وتعريفه فالهدف هو الحفاظ على النص الأصلي أثناء عملية الترجمة أي التقيد به وحسب رأيه فأي تغيير وحذف وإضافة معناه خيانة للنص الأصلي وخداع للقارئ المتلقي. وجاء أيضا رأي **"والتر بنيمين"**[6] (Walter Benjamin) مساندا له إذ يعرف الترجمة « بأنها شكلا قوانين موجودة في النص المصدر »[7]. إذ أنه يؤمن بأن لا نترجم لأحد معين، والنص يبدأ برفض المتلقي أي نترجمه دون تصور مسبق لمتلق ما.

فحسب رأيه « العمل الأدبي لا يوجه إلى إنسان أو جمهور وإنما يوجه إلى جوهر الإنسان ويضيف إلى أنه كلما كانت وظيفة النص تواصلية كلما كان فاشلا »[8].

أما في المقابل فأهل الهدف يركزون على المتلقي والنص الهدف. وقد عرف الترجمة **"بيل روجر"**[9] (Bill Roger) على أنها « التعبير بلغة أخرى (لغة الهدف) عما عبر عنه بلغة أخرى (لغة المصدر) مع الاحتفاظ بالتكافؤات الدلالية والأسلوبية »[10].أي على المترجم إحداث نفس الأثر على المتلقي الذي أحدثه النص الأصلي.

إن الترجمة بصفة عامة تفيد النقل وقد عرف كل من **"نايدا"**[11] (Nida) و**"جان دي وارد"**[12] (Jan de Waard) الترجمة على أنها « أساسا نقل رسالة من لغة إلى أخرى، وبعبارة أخرى الترجمة هي إيصال رسالة جاءت من قبل بلغة أولى بواسطة لغة ثانية. وأضاف **"نايدا"** أن الترجمة تكمن في إنتاج أقرب مكافئ طبيعي في لغة المتلقي لرسالة لغة المصدر، أولا من حيث المعنى وثانيا من حيث الأسلوب »[13].

وظائف الترجمة

إن للترجمة عدة وظائف منها الوظيفة الثقافية والحضارية واللغوية، فقد أسهمت الترجمة في:

1- **الكشف عن إنتاج أدبي مغمور سبق زمانه**:

لم يُنزل بهذا الأدب المغمور المنزلة اللائقة به مثل أدب **شكسبير**[14] (Shakespeare)، الذي اكتشفه الفرنسيون وبترجمة أعماله أخرجوه للعالم، وكذا **ديدرو**[15] (Diderot) عندما ترجم **غوته**[16] (Goethe) أحد مؤلفاته Le neveu de Rameau" إلى الألمانية في 1805م، عرفه الناس ونُشر إنتاجه وكذا **أنطوان غالان**[17] (A Galland) الذي أطلعَ أوروبا على ألف ليلة وليلة ما بين 1704 م و1717 م وأسهمت هذه الترجمة في إرساء دعائم الرومانسية وإخراج جيل من العباقرة في الأدب.

2- توحيد اللغة

تساعد الترجمة على توحيد اللغة كما حدث بالنسبة للغة الفرنسية مع **دي بلي**[18] (Du Bellay) و **لوثر**[19] **(**Luther**)** بالنسبة للألمانية، كما تساهم الترجمة في نشر بعض الثقافات والتأثر بأساليبها كالبتراركية التي تأثرت بها جماعة السابوع La Pléiade حوالي 1550 م، أي تقليد أسلوب **بترارك**[20] (Pétrarque) الشاعر الايطالي ويكفي أن الأمم التي اهتمت بالترجمة هي دوما في الطليعة، ذلك لأنها أدركت أن الترجمة على حد قول اللغويين وعلماء: « الترجمة شرط لا بد منه »[21].

3- حوار الثقافات

إن الحوار بين البشر ضروري وحيوي وكثيرا ما قاد إلى المعرفة والتواصل مع الآخر وحل الخلافات والنزاعات القائمة. فإذا أردنا أن نعرف الحوار ، فهو مراجعة الكلام في شأن ما، أو رأي ما، لتعزيزه وتطويره. ومن أهم ما ركز عليه العرب وظيفة التواصل فالترجمة عندهم فعل تواصل حيث أن حاجة العرب المبكّرة ثم المتطورة إلى ضرورة التعامل مع آخر لا ينتمي إلى عروبتهم ولا ينطق بلغة ضادهم، وذلك قصد التعاون معه في ما لا تكفي لسدّه وسائلهم الخاصة وهو ما دعاهم إلى الانتقال من حيّزهم الداخلي المغلق نسبيا إلى حيّز خارجي يتفتّح ويتسع شيئا فشيئا

ويتعقد أكثر فأكثر فيُوفر في كل مرّة إمكانات جديدة تكشف عن حاجات متجددة. و يمكن أن نرسم خارطة جغرافية لسانية توزّع ذلك الاتصال اللغوي حسب المناطق، شمالها وجنوبها، شرقها وغربها. ولم يكن هذا الاتصال أحادي الجانب فالحاجة إلى التعامل كانت متبادلة، ومن البديهي أن يكون قد رافق ذلك الاتصال المزدوج اتصال لغوي مباشر أو عن طريق وسطاء لتسيير التواصل بين الأفراد والجماعات، وتوطد هذا التعامل والاتصال حتى أثر في كلام العرب فقد أشار السّيوطي إلى التداخل اللغوي بين تلك اللغات واللهجات العربية المتاخمة لتلك المناطق وحذر من خروجها عن الصّفوية العربية[22]. ومع مرور الوقت وتطور الأحداث اتسعت العلاقات وتعمّق الامتزاج بين العرب وغيرهم، وزاد احتكاك اللغة العربية بلغاتهم وتجديد آلاتها للتعبير عن ذلك الواقع الجديد.

أهمية الحوار ونتيجة الاتصال

هذا الاتصال بالعناصر الأجنبية قد أكسب اللغة العربية رحابة وقوة بحيث ظهرت للعالم أول ما ظهرت وهي لغة تامة النضج والتكوين، لغة ذات حيوية تستطيع أن تهضم العناصر الأجنبية فلا خوف عليها من أن تنتشر بعد ذلك في العالم وتتصل بلغات جديدة وثقافات، وقد أصبحت هذه اللغات آداة للأدب الرفيع وغدت هي لغة العلوم والفنون والفلسفة في أقطار فسيحة تمتد من الهند إلى شبه جزيرة إبيريا. ولم يلبث أبناء هذه الأقطار المترامية أن أخذوا يساهمون في بناء هذا التراث الأدبي الضخم الذي خلّفته لنا هذه العصور. وهذه اللغة كما تأثرت بغيرها من اللغات فإنها قد أثرت في هذه اللغات، وما أكثر ما نجد في اللغة الاسبانية من كلمات عربية مثال ذلك "Fonda" وفي العربية **فندق** و"Tahona" وفي العربية **طاحونة** و"arroz" وبالعربية **الأرز** و"La acequia" وبالعربية **الساقية** وكذلك نجد في الفارسية والتركية جملة كبيرة من الكلمات العربية بل لقد دخلت عدة كلمات عربية في اللغات الأجنبية فنجد في الانجليزية مثلا كلمة "mohair"وأصلها العربي **"المخير"** وهكذا[23].

وفي عالم اليوم الذي ارتقت فيه أسباب الاتصال على نحو عجيب وشاع فيه الراديو والتلفزيون والفيديو والأقمار الصناعية وتقدمت الطباعة تقدما كبيرا، وراحت المطابع تخرج كل يوم ألوفا مؤلفة من الكتب حتى ليحار المرء بين ما يأخذ منها وما يدع. ففي هذا العالم العجيب تتبوأ الترجمة مقاما مشهودا، فما إن يصدر كتاب بأية لغة من اللغات الحية حتى يترجم على الفور إلى اللغات الأخرى .

لقد أسهم المترجمون إسهاما كبيرا في تكوين المصطلحات، ولا يزال قسم مما أخذوا به مستعملا إلى اليوم. وقد عوّلوا على العربية أولا في وضع مصطلحاتهم فاستعاروا ألفاظا ذات دلالات لغوية معينة، لأداء معان جديدة على طريق المجاز العرفي وربما أفادوا من مصطلحات دراسات سابقة فلفظتا "الحكم" و"القضية" مثلا، عرفتا لدى الفقهاء قبل أن تعرف لدى الفلاسفة والمناطقة، وإذا لم يجدوا في العربية اللفظ الملائم مباشرة، عمدوا إلى النحت والاشتقاق لوضع لفظ جديد، وكان لهم في المصادر الصناعية عون كبير للدلالة على بعض المذاهب، كالأفلاطونية والمشائية أو بعض المعاني الفلسفية كالهوية والماهية. وإن أعوزتهم الألفاظ العربية لجأوا إلى التعريب فأخذوا عن اليونانية مثلا هيولي وناموس وعن الفارسية : الجوهر والهندسة[24].

أ- الترجمة عند العرب

إن التاريخ يشير إلى أن الترجمة كانت ومازالت من أهم العوامل في نهضة الأمم لأنها وسيلة تمازجها، بها تقاربت آدابها وتلاحقت أفكارها، فساعد ذلك على الارتقاء بالحياة الأدبية والعلمية وفي هذا الصدد نذكر أن الاهتمام بالترجمة بدأ في أراضي بابل، ثم في واد النيل وقد عرفت الترجمة عهود ازدهار عند العرب وغير العرب ويؤرخ الدارسون لأولى الترجمات المشهورة في التاريخ في الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت قد تمت في الشرق الأدنى حيث أنجزت ترجمة **ملحمة جلجامش**[25] إلى اللغة الحثية[26] عن اللغة السومرية.

وبعد سومر أصبحت مصر مهدا للحضارة، وأُسِسَتْ بها مدرسة للترجمة في الإسكندرية منذ القرن الثاني قبل الميلاد ويشهد تاريخ العرب وحضارتهم على عنايتهم بالترجمة والمترجمين، و« لئن كانت الترجمة قد بدأت عند العرب في العهد الأموي، فإن العصر العباسي تميز بها حتى بلغت أوجها في عهد الخليفة **المأمون**[27] (813-833 م) وأصبحت بغداد في القرنين التاسع والعاشر للميلاد مركزا مهما في نقل كتب الإغريق القديمة إلى اللغة العربية، وتأسس بها مجمع المترجمين على يد المأمون »[28].

تأتي الترجمة بدافع الحاجة وهذه الأخيرة تأتي قبل مرحلة اللذة والاستمتاع العقلي اللذين نطلق عليهما مرحلة التذوق، ولم يحس العرب بالتذوق حيال آداب اليونان وأساطيرهم ومسرحياتهم فلم يترجموا منها شيئا. والتذوق يختلف في الأمة الواحدة تبعا لظروف وملابسات مختلفة فقد كان التذوق الأدبي للإلياذة والأوديسة والمسرحيات اليونانية معدوما في العصر العباسي لاعتبارات الذوق العام للأمة أولا ولاعتبارات الدين والوثنية وآلهة اليونان ثانيا، ولاعتبارات الجهل وعدم المعرفة اللغوية التي تحجب الاهتمام ثالثا ولاختلاف المزاجين العربي والإغريقي رابعا[29].

ب- الترجمة عند الغرب

أما عند الغربيين فبلاد الإغريق لم يترجم شعبها كثيرا، لأن لغتهم كانت منتشرة في حوض البحر الأبيض المتوسط، إضافة إلى أن الإغريق اعتبروا أنفسهم أكثر تحضر من غيرهم ووقف الرومان موقفا مشابها لموقف الإغريق، لأن اللغة الإغريقية كانت آنذاك لغة النخبة من اللاتينيين وعندما استولت روما على بلاد الإغريق، فرضت لغتها على العالم، ومنذ ذلك الحين بدأت عنايتها بالترجمة، و« شرع الخطيب **شيشرون**[30] (Cicéron) في التعريف بالآثار الإغريقية منذ القرن الأول قبل الميلاد و بدأ منذ ذلك الحين يهتم بالأسس النظرية للترجمة »[31].

ولا يمكن أن ننسى ازدهار الترجمة في عصر النهضة الأوروبية من العربية إلى اليونانية واللاتينية إلى كل لغات أوروبا، التي أصبحت تتمتع باستقلاليتها ووجودها الذاتي منذ انطلاق هذا العصر منذ منتصف القرن الرابع عشر في ايطاليا وهنا نذكر بدور مدرسة طليطلة (Tolède) في الأندلس التي أصبحت مركزا مرموقا لترجمة كتب الإغريق القديمة إلى اللاتينية، عبر وساطة اللغة العربية والسريانية منذ حلول القرن الثاني عشر للميلاد وكانت الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية ومنها إلى اللغات الأخرى، لها أثرها العظيم الذي استمر أكثر من أربعة قرون من خلال كتب

العرب وعلومهم التي ترجمت ودرست في جامعات أوروبا إلى زمن غير بعيد ومنذ عصر النهضة، سار الاهتمام بالترجمة عند الغربيين في تصاعد مستمر.

ونخلص إلى أن أية أمة تترجم للحاجة والضرورة التي تبعث على الترجمة وتدعو إليها فقد تكون حاجة دينية، أو حاجة طبية، أو حاجة في الصناعة، أو حاجة إلى كشف المجهول كما نترجم للمتعة الروحية التي تشيع البهجة في النفس حين تقرأ أثرا من آثار غيرها. ونترجم استكمالا لمعارفنا التي يجب ألا تقف عند حد ولا تنتهي عند غاية، ونترجم تعزيزا لمقومات شخصياتنا التي تزيدها القراءة قوة واستقلالا ونترجم تقوية للتفاهم الدولي بين الأمم ونترجم لتنفتح أمامنا نوافذ الفكر فنستطيع أن نطل على العالم وعلى ما حولنا من نوافذ متعددة وبهذا تكون الرؤية أوضح والضوء أقوى والآفاق أرحب.

بصمة الترجمة في تطور الحضارات الإنسانية

الواقع أن الأمم التي مازال وسيظل التاريخ يذكر بصماتها في رحلة الإنسان الحضارية هي أمم أشرفت بنفسها على حركة الترجمة، نظرا لما توليه لهذه العملية من قيمة إدراكها منها لضرورة الإتصال الذي ينبغي أن يتم بين الشعوب ويؤدي قطعا إلى ازدهار الثقافة ونذكر على سبيل المثال الدولة العباسية وخاصة في عهد المأمون، كما نذكر الدولة الرومانية في عهدي الإمبراطورين قيصر وأغسطس، بعد بسط نفوذها على بلاد اليونان وأوروبا بعد اتصالها المباشر وغير المباشر بالتراثين الإغريقي واللاتيني فوفرت هذه الدول المال وحرية التفكير وحرية التنقل للرجال الأكفاء في ميدان الترجمة وتاريخ الترجمة يشهد أنها أسهمت من خلال نقل المعارف والعلوم في إنقاذ كنوز وفيرة من ثقافات الشعوب وانتشالها من الضياع، من مثل بعض المؤلفات التي فُقِد أصلها ولم يبق منها إلا النص المنقول إلى إحدى اللغات ككتاب كليلة ودمنة لإبن المقفع وهو كتاب فقِد أصله الهندي وفقدت النسخة الفارسية المنقولة عن الهندية ولم يبق إلا النسخة العربية وكذلك "كتاب "مسخ الكائنات Les Métamorphoses" **لأوفيد**[32] (Ovide) الذي يحدثنا باللاتينية عن أساطير يونانية وحَفِظها من الضياع بعد أن فُقدت روايتها باليونانية وكذا قصص ألف ليلة وليلة التي يعتقد الباحثون أن أصل جزء من حكاياتها إغريقي ولم يسبق منها الآن في التداول إلا النسخة العربية "[33] وأيضا بعض المؤلفات التي نقلها أصحابها حفاظا عليها من الضياع حين رأوا بداية انقراض لغتهم كما فعل الفرس، فاشتغلوا بترجمة أدبهم إلى اللغة العربية وهكذا فإن الترجمة قد أسهمت بشكل ملحوظ في الحفاظ على جزء من التراث الإنساني الثقافي من الزوال .

ولعل ما قاله **روجيه غارودي**[34] **(**Roger Garraudy**)** يمثل تلخيصا لحدث حضاري بارز في تاريخ البشرية كان لامتداده الزماني واتساعه المكاني أثر لا يزول قال: « إن الحضارة العربية الإسلامية قد أغنت الإنسانية خلال ألف من الأعوام وهيأتها للمستقبل فقد نقلت الحضارة العربية عبر صقلية وإسبانيا إلى أوروبا ثقافة كان العرب يحملون همها وتبعاتها خلال قرون عشرة.وعن طريق الترجمة راحت هذه الثقافة تفعل فعلها. لقد ولد من اسبانيا " ألفونسو العاشر"، ومن صقلية "فريدريك

الثاني" وهما المعجبان بالحضارة العربية الإسلامية والمتحمسان لها، تلك الحضارة التي كانت المرضع لحضارة الغرب »[35].

إن العرب لم يعيشوا، في أية حقبة من حقب تاريخهم الطويل، في عزلة عن الشعوب الأخرى ولاسيما الشعوب المجاورة لهم، بل كانوا على اتصال معها، وبثقافاتها بيد أن اتصالهم بالثقافات الأخرى قد تدرج خلال الزمن من الضيق إلى الاتساع ومن الضعف إلى القوة، ومن القلة إلى التنوع والكثرة ولهذا فإنه من المستطاع القول أن الثقافة العربية لم تكن في يوم من الأيام منغلقة على نفسها، بل كانت على الدوام منفتحة على غيرها من الثقافات، وقد وجدت دوما لديها ما تعطيه للآخرين كما لم تجد حرجا في اقتباس ما كانت بحاجة إليه. كذلك كانت على امتداد الرقعة الجغرافية التي عاشت عليها الأمة العربية على مدى الزمن، منذ ظهورها على مسرح التاريخ.

ومن أجل ذلك نقول إن الثقافة العربية كانت في الماضي تحمل سمة عالمية، لقد احتلت حيزا واسعا من الزمان والمكان، ثم بعد ازدهارها أغنت التراث البشري بالمعرفة وبالقيم المعنوية و الإنسانية التي حملتها وفي العصر الحديث منذ قرن ونصف من الآن وبعد تراخي الزمن على عصر النهضة والعطاء وفترة ركود وانحسار، بدأ العرب يحاولون وصل ما انقطع من أيامهم الزاهية ودخلوا مرحلة اليقظة القومية والفكرية.

دور الترجمة في إثراء الهوية الثقافية العربية

كان للترجمة وسيكون دور فاعل بنّاء يحقق هدفين اثنين:

أولا : إغناء الثقافة العربية بمعطيات الثقافات الأخرى بما ابتدعه رجال الفكر في العالم من آراء ونظريات وأفكار غيّرت مسارات الحضارة البشرية أو أثرتها، وما أوجده رجال العلم والأدب والفن من آثار ومؤلفات وأبحاث قيّمة ولا سيما في مضمار العلوم الجديدة والتقنيات المعقدة التي صارت سمة هذا العصر ووسيلة مجاراة التطور المادي والاجتماعي فيه.

ثانيا: تعريف الناطقين باللغات الأجنبية الرئيسية بروائع الفكر العربي قديمة وحديثة وفي ذلك وصل للثقافة العربية بالثقافات الأخرى وإيصال القضايا العربية إلى أذهان الآخرين وتشكيل صورة حقيقية للعربي في عقول أثرت فيها الدعايات المغرضة المعادية للعرب.

في هذا الأخذ والعطاء تأكيد للهوية العربية الثقافية، إن الهوية الثقافية كيان مستقل قائم بذاته ولكنه ليس منعزلا عن الكيانات الثقافية الأخرى، ولا معاديا له، إنه يتألف من عناصر مختلفة: يأخذ من الماضي والتراث كل ما يحفز الهمة وينير الدرب ويمهد السبيل ويغني الحاضر، كما يأخذ من الواقع الذي تعيشه الأمة، جمهورها العريض، ليعالج هذا الواقع ويرقى به إلى صورة مثلى يكون عليها في المستقبل، ويفتح نوافذه للشمس ليدخل حجراته النور والدفء.

ولقد أصاب **محي الدين صابر**[36] في قوله: « إن الهوية الثقافية هي مبدأ ثابت، حق من الحقوق العالمية للشعوب، إن "الهوية الثقافية" ليست مرادفة للعزلة والتقوقع ولكنها تعني التعامل والتفاعل مع الحضارات الأخرى، من منطلق القدرة على العطاء، من منطلق التنوع. هي ضد التماثل الثقافي، ضد الذوبان إنها تقبل التعاون والتفتح وتقبل الأنماط الثقافية العالمية ولكنها في الوقت نفسه تدعو إلى تملك القدرة على الإسهام

فيها، وذلك بتقوية مقوماتها الأساسية والحفاظ على قيمها باعتبارها اختراعا إنسانيا وخبرة بشرية لابد من الحفاظ عليها »[37] .

إن للترجمة دورا فاعلا في الثقافة، إثراء وربطا بالثقافات الأخرى وأثرا كبيرا في صوغ "الهوية الثقافية " المتميزة مضمونا وأبعادا، بيد أن الترجمة بدورها، كما تنهض بهذا الدور الفاعل وتقدم الأثر الكبير ينبغي أن يكون، لا عملا عشوائيا تحكمه الأهواء والمصالح، بل عملا مخططا هادفا يرمي إلى رفد الثقافة القومية وإخصابها[38]، ومن هنا كان من المهم أن يعنى بالترجمة: مؤسسة قادرة ومترجما أمينا وكتابا نافعا وأن تكون عملا متصلا لا يتوقف، في اتجاهين من العربية وإليها، كما يعطي الثمرات المرتجاة ويحقق الأهداف المبتغاة ويكون إحدى اللبنات التي يرتفع بها صرح ثقافتنا العربية العتيدة.

الترجمة الأدبية ودورها

يقصد بالترجمة الأدبية ترجمة الآثار والمؤلفات الأدبية مثل الرواية والقصة والمسرحية والشعر والمقالات والدراسات ذات الطابع الفني وأما كتب تاريخ الأدب وكتب النقد الأدبي فهي تقع موقعا وسطا بين الآداب من جهة والعلوم الاجتماعية والإنسانية من جهة أخرى، موضوعا وأسلوبا.

ويعتقد أكثر العارفين بمشكلات الترجمة، ومن عانوا النقل وذاقوا مره وحلوه أن الترجمة الأدبية أصعب من الترجمة العلمية، ذلك أن النص الأدبي ليس فكرة أو أفكار فحسب بل هو ينطوي على أحاسيس المؤلف الأديب وعواطفه وتخيلاته وهو نص حاكته يد شاعر أو ناثر موهوب قصد أن يكون مثيرا وجميلا ومن أجل هذا كان على المترجم أن يأتي بنص مقابل يتوفر فيه إلى جانب الأمانة في النقل ما يبرز النص الأصلي ولا يضعف أثره ولا ينقص من جماله.

إن ترجمة الأثر الأدبي لا يصح أن تجرده من صفته الأدبية وتحوله إلى كلام عادي لا حياة فيه بل ينبغي أن تبقى عليه رونقه وجماله وسحره و تأثيره. يقول محمد فريد أبو حديد في مقدمته لترجمة مسرحية " **ماكبث** " تأليف **وليام شكسبير**: « إني أرى أن ترجمة الآثار الأدبية الكبرى إلى اللغة العربية ينبغي أن تضيف إلى التراث الأدبي العربي إضافة جديدة جديرة بأن تبقى لذاتها وبأن تقرأ لذاتها كإنتاج أدبي عربي، فإذا لم تحقق الترجمة هذه الإضافة فهي لا تزيد عن أن تكون تعريفا بالأثر الأدبي الأجنبي أو تسجيلا له بوصفه أدبا أجنبيا، والفرق عظيم بين أن تكون الترجمة قطعة من الأدب العربي وبين كونها تعريفا بالأثر الأدبي مع بقائه أجنبيا »[39]. وثمة قول لابد من الإشارة إليه، وهو أن بعض الباحثين يرون أن ترجمة الآثار الأدبية هي أهم أنواع الترجمة جميعا، لأن الآثار الأدبية تتبوأ على مكان في ثقافة الأمة وتراثها.

إن النص الأدبي يكاد لا يتغير على مضي الزمن أي أنه يحتفظ بقيمته الأدبية على الرغم من ارتباطه ببيئة وزمن معينين، إننا نقرأ اليوم لزوميات **المعري**[40] ومسرحيات شكسبير وغيرهما من روائع الأدب الشرقي والغربي لا كما نقرأ نصا يخاطب أناسا مضوا فحسب، بل نقرأ هذه الروائع بوصفها نصوصا تخاطب الفكر والعاطفة والخيال عندنا اليوم وتثير فينا من الأفكار والانفعالات والتخيلات ما تثيره نصوص أدبية لم يجف المداد الذي كتبت به بعد، وكما قال الدكتور محمد عوض

محمد: « الكلام الجميل ينبغي أن يقابله كلام جميل، وما يحسه من يقرأ الأصل يجب أن يشابهه ما يحسه من يطالع الترجمة »[41].

ويتحدث **الجاحظ**[42] عن الترجمة الأدبية، وبالأخص ترجمة الشعر عامة والشعر العربي خاصة حيث يقول: « الشعر لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل ومتى حوّل تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب لا كالكلام المنثور، والكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من المنثور الذي تحول من موزون الشعر... وقد نقلت كتب الهند وترجمت الحكم اليونانية وحولت آداب الفرس فبعضها ازداد حسنا وبعضها ما انتقص شيئا ولو حولت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن»[43]، وحول هذا الموضوع أيضا رأي من آراء المحدثين رأي **رومان جاكسون**[44] (Roman Jakobson) فهو يقول: « والشعر بحكم تعريفه لا يستطاع أن يترجم »[45]، ويبدو من خلال حديثهما أنه لا سبيل لترجمة الشعر.

أما بالنسبة لجنس الرواية باعتبارها من المبدعات الفنية ذات اللغة الغنية بالوصف والسرد والتعابير والألفاظ والإيحاءات فهي حصيلة أجناس متعددة ولهذا يمكن أن تتعايش في الرواية في الآن الواحد أجناس مختلفة وهو ما يسم الرواية بسمتها الحوارية وهي سمة كل خطاب، وهذا الامتزاج يخلق الصعوبة في ترجمة هذا الجنس بالذات فهناك علاقة الترجمة والأدب واللغة والثقافة والحضارة فالرواية تشكل جسرا من الجسور التي تمتد بين الشعوب والثقافات والحضارات.

إن ميدان التنافس والإجادة والإبداع في الترجمة الأدبية فسيح لا تدرك غايته وأقصى ما يتطلع إليه أن يكون النص المترجم مضاهيا للنص الأصلي جمالا وروعة، حتى يصبح إبداعا أدبيا بذاته، لا صدى خافتا لأثر أجنبي .وجاء في هذا الإطار قول **حافظ إبراهيم**[46] يصف أثرا أدبيا مترجما: « فجاء الأصل والترجمة كالحسناء وخيالها في المرآة »[47] من حيث الشبه والتطابق، وهذا ما ينشد في الترجمة الأدبية ولذلك من أراد أن يترجم الأدب وجب أن يكون هو نفسه أديبا وللأدب سليقة ومراس معا، وأن تكون الأمانة رائده والذوق السليم مرشده والإجادة غايته .

خاتمة

إن الترجمة عن اللغات تثري الهوية الثقافية وتقويها، ولا تضعفها أو تشوش خصائصها ولا تشدها إلى أغلال التبعية الثقافية كما يتوهم البعض. إذ إن الترجمة عامل بناء فاعل في إثراء الهوية الثقافية، فبرغم صانعيها هم نخبة إلا أن عائدها الفعلي يكون على المستوى الثقافي العام، في مصلحة المجتمع كله لأن نتاجها الغير مباشر يصب في نهاية المطاف لمصلحة تقوية الهوية الثقافية وإثرائها. وبقدر ما تكون درجة انفتاح الأمة على الثقافات الأخرى على أساس الاعتماد المتبادل والمصالح المشتركة، بقدر ما تتحدد وتيرة حركة الترجمة من اللغات الأخرى وسرعة إيقاعها؛ وهو ما يحدد ما يحدد بدوره درجة الاندماج مع العالم، والتواصل مع الأمم والشعوب الأخرى. وعلى العكس من ذلك كلما لجأ المجتمع إلى قوقعة الذات وانكفأ في داخله وخرج من العالم الذي يحيط به وضعفت هويته الثقافية نتيجة الانغلاق والانسحاب. وباختصار، فالترجمة هي عامل إيجابي من عوامل بناء الهوية الثقافية في كل الأحوال.

المراجع:

* إبراهيم زكي خورشيد: الترجمة ومشكلاتها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986.
* ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1994.
* الجاحظ : الحيوان، تحقيق يحي الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1992.
* بيل روجر: الترجمة وعملياتها النظرية والتطبيق، ترجمة محمد حمدي، ط1، مكتبة العبيكان الرياض، 2001.
* دي لاسي أوليري: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني بيروت 1977.
* روجيه غارودي: ما بعد الإسلام، ترجمة قصي أتاسي وميشين واكيم، 1983.
* شحادة الخوري: الترجمة قديما وحديثا، ط1، دار المعارف، تونس، 1988.
* علي يوسف نور الدين: الترجمة عند العرب بين الأمس واليوم، مجلة المترجم،ع04، دار الغرب، جوان 2002.
* نسيمة عيلان : إشكالية ترجمة النص الأدبي، مجلة التواصل، جامعة عنابة، جوان 1999.
* محمد عوض محمد: فن الترجمة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة القاهرة، 1969.
* محي الدين صابر: العلاقات بين اللغات الإفريقية والعربية، مجلة العربي،ع 438، الكويت 1995.
* منجية عرفة منسية: الترجمة عند العرب القدامى، الترجمة بين المعادلة والتطبيق، أشغال الندوة الدولية(ج3) منشورات المعهد العالي للغات، تونس، 2000.
* BERMAN. Antoine, la traduction et la lettre ou l'auberge du lointain. Seuil. Paris. 1999.
* DEPRE OSEKI. Inès, Théorie et pratiques de la traduction littéraires. Armand Collin. Paris. 1999. P. 101.
* DE WOARD .J et NIDA.E, D'une langue à une autre. Alliance biblique universelle. Villhers-le-bel-France. 2003. Préface.
* YAKOBSON. Roman: Essais de linguistique générale Trad .Rewet, N.ed Minuit, Paris, 1963.

الهوامش:

(1)- شحادة الخوري: الترجمة حديثا وقديما، ط1، دار المعارف، ، تونس، 1988، ص9.

(2)- ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1994.

(3)-شحادة الخوري: الترجمة قديما وحديثا،مرجع سابق، ص15.

(4)- أنطوان برمان (1942-1991): منظر فرنسي في الترجمة ذو الاتجاه المصدري (courant sourcier) في الترجمة، من أهم أعماله:
L'épreuve de l'étranger (1984).

(5)-BERMAN. Antoine, la traduction et la lettre ou l'auberge du lointain. Seuil. Paris. 1999. P. 25.

(6)-والتر بنيمين (1892-1940): كاتب وناقد ومنظر ألماني في الترجمة ذو الاتجاه المصدري ، ترجم لبلزاك وبودلبير.

(7)-DEPRE OSEKI. Inès, Théorie et pratiques de la traduction littéraires. Armand Collin. Paris. 1999. P. 101.

(8)-DEPRE OSEKI. Inès, Théorie et pratiques de la traduction littéraires. Armand Collin. Paris. 1999. P. 106.

(9)-بيل روجر: أستاذ ودكتور بمدرسة اللغات بمعهد وسط لندن التقني.

(10)- بيل روجر: الترجمة وعملياتها النظرية والتطبيق، ترجمة محمد حمدي، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001، ص 46.

(11)-يوجين نايدا (1914-2011): مترجم أمريكي ولغوي معاصر وهو واضع نظرية التكافؤ الديناميكي في ترجمة الكتاب المقدس. من أشهر مؤلفاته: Towards a Science of Translating (1964)

(12)-جان دي وارد (1931-2016): كاتب وأستاذ ترجمة بجامعة أمستردام، مستشار الترجمة في "Alliance biblique universelle" من أهم كتبه: From one language to anther. Functional equivalence in Bible Translating بالتنسيق مع يوجين نايدا.

(13)-DE WOARD .J et NIDA.E, D'une langue à une autre. Alliance biblique universelle. Villhers-le-bel-France. 2003. préface du livre.

(14)- وليام شكسبير (1564-1616): شاعر وكاتب مسرحي وممثل انجليزي، سمي بشاعر الوطنية ومن مؤلفاته Roméo et Juliette – Hamlet (1603) (1597) – Othello (1604) – Macbeth (1623)

(15)-دونيس ديدرو (1713- 1784): فيلسوف وكاتب فرنسي، برز بإشرافه على إصدار "موسوعة الفنون والعلوم والحرف" ومن قادة حركة "التنوير". رئيس تحرير أول موسوعة Encyclopédie.

(16)-يوهان فولفغانغ فون غوته (1749-1832): أديب ألماني، تنوع أدبه بين الرواية والكتابة المسرحية والشعر واهتم بالأدب الشرقي واهتم بالعلوم والإدارة. من مؤلفاته:(1762-1773) Le neveu de Rameau

(17)-أنطوان غالان (1646-1715): مستشرق فرنسي، أشتهر بترجمة ألف ليلة وليلة، ظهرت في اثنى عشر مجلدا من 1704 إلى 1713.

(18)-دي بلي (1522-1560): شاعر فرنسي ومن مؤسسي "La Pléiade". أشهر مؤلفاته: (1553-1557) Les Regrets

(19)-مارتن لوثر (1483-1546): أستاذ جامعي، من مصلحي الكنيسة البروتستانتية ومغيري مسار الحضارة الغربية.

(20)- فرانشيسكو بترارکا أو بترارك (1304 -1374): باحث و شاعر إيطالي وأحد أوائل الإنسانيين في عصر النهضة.
(21)- نسيمة عيلان: إشكالية ترجمة النص الأدبي، مجلة التواصل، جامعة عنابة، جوان 1999، ص 68.
(22)-ينظر: منجية عرفة منسية: الترجمة عند العرب القدامى، الترجمة بين المعادلة و والتطبيق، أشغال الندوة الدولية (ج3)، منشورات المعهد العالي للغات، تونس، 2000، ص26.
(23)-ينظر: إبراهيم زكي خورشيد: الترجمة ومشكلاتها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986، ص31.
(24)- ينظر: علي يوسف نور الدين: الترجمة عند العرب بين الأمس واليوم، مجلة المترجم، ع 4، دار الغرب، جوان ،2002 ص16.
(25)-هي ملحمة سومرية شعرية مكتوبة بخط مسماري على اثنى عشر لوحا طينيا اكتشفت لأول مرة عام 1853 م في موقع أثري اكتشف بالصدفة، عرف فيما بعد أنه كان المكتبة الشخصية للملك الآشوري آشوربانيبال في نينوى في العراق ويحتفظ بالألواح الطينية التي كتبت عليها الملحمة في المتحف البريطاني.
(26)-لغة قريبة من اللغات الهندوأوروبية
(27)-المأمون (786-833م): Al-Ma'mūn هو عبد الله بن هارون الرشيد، سابع خلفاء بني العباس. تفرد عهده بتشجيع مطلق للعلوم من فلسفة وطب ورياضيات وفلك.
(28)-دي لاسي أوليري: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1977، ص5.
(29)- ينظر: إبراهيم زكي خورشيد: الترجمة ومشكلاتها، مرجع سابق، ص25.
(30)-شيشرون (106- 43ق م): رجل دولة روماني ومؤلف لاتيني.
(31)- نسيمة عيلان: إشكالية ترجمة النص الأدبي، مرجع سابق، ص64.
(32)- أوفيد (43-18ق م): شاعر لاتيني شهد ولادة الإمبراطورية الرومانية، أشهر مؤلفاته: L'Art d'aimer & Les Métamorphoses
(33)- شحادة الخوري: الترجمة قديما وحديثا، مرجع سابق، ص67.
(34)-روجيه غارودي (1913-2012): فيلسوف وكاتب فرنسي، اعتنق الإسلام سنة 1982. من مؤلفاته: Contribution historique de la civilisation arabe (1946) et Mosquée, miroir de l'Islam
(35)-روجيه غارودي : ما بعد الاسلام، ترجمة قصي أتاسي وميشين واكيم، 1983، ص140.
(36)-محي الدين صابر محمدين (1919-2003): من أعلام التعليم و أول حاصل على شهادة دكتوراه في السودان و أول من غير النظام التعليمي الموروث من الإنجليز.
(37)-محي الدين صابر: العلاقات بين اللغات الإفريقية والعربية، مجلة العربي، الكويت، 1995، ع438، ص110.
(38)-محي الدين صابر: العلاقات بين اللغات الإفريقية والعربية، نفس المرجع.
(39)-شحادة الخوري: الترجمة قديما وحديثا، مرجع سابق، ص97.
(40)-أبو العلاء المعري Abu-l-Ala al-Maari (973-1057): شاعر وفيلسوف ولغوي وأديب عربي من عصر الدولة العباسية. من أشهر مؤلفاته: تاج الحرة – رسالة الملائكة و شرح اللزوميات.
(41)-محمد عوض محمد: فن الترجمة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة القاهرة، 1969، ص29.

(42)- الجاحظ Al-Jahiz (772-868): أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي بها. من أشهر كتبه: البيان والتبيين وكتاب الحيوان والبخلاء، كما كتب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة وغيرها.
(43)-الجاحظ: الحيوان، تحقيق يحي الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1992.
(44)-رومان جاكبسون (1896-1982): عالم لغوي وناقد أدبي روسي، من رواد المدرسة الشكلية الروسية .وقد كان أحد أهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة والشعر والفن.
(45)- YAKOBSON.R, Essai de linguistique générale, Trad. Rewet, N. ed Minuit, Paris, 1963, p. 45.
(46)- حافظ إبراهيم Hafez Ibrahim (1932-1972): شاعر مصري ذائع الصيت. عاصر أحمد شوقي ولقب بشاعر النيل وبشاعر الشعب. من مؤلفاته: الديوان.
(47)-شحادة الخوري: الترجمة قديما وحديثا، مرجع سابق ،ص97.